

Amly
<http://arabicivilization2.blogspot.com>

حكايات الشعوب

الفراشة المبهفرا

وحكايات أخرى
من إفريقيا



عبد التواب يوسف

رسوم: رأفت محيي الدين

سفيح

الفراشة الحفراء

و حكايات أخرى
من
إفريقيا

عَبْدُ التَّوَابِ يُوسُفَ

رَسُومَ

رَأْفَتِ مَحْيِي الدِّينِ



الشمس والقمر

في الماضي البعيد ، البعيد جداً ، كانت « الشمس » تعيش على الأرض ، مثلما يعيش عليها « البحر » . وقد تعودت الشمس بين حين وآخر على زيارته ، وربما أطالت المكوث لديه ، تتبادل معه الحديث الممتع ، ويتناقلان أخبار هذا الكون الذي كان ما يزال وليداً صغيراً ، لكنها تنبّهت إلى أمرٍ صارت به صديقها البحر :

- لقد تكررت زيارتي لك !

- إنه كرم منك بدون شك !

- لكنك لم تردّ الزيارة قط .

- ظروفي تمنعني من ذلك ، مع الأسف الشديد !

- أي ظروف تحول بينك وبين أداء هذا الواجب ؟

- إنني كبيرٌ واسعٌ مترامي الأطراف ، ثم إن عندي أبناءً وأحياءً ومخلوقاتٍ كثيرةً ؛ من حيتانٍ وأسماكٍ وطيورٍ وسباعٍ ، و . . . لا أستطيع أن أتركها ، كما أن بيتك لا يمكن أن يسعها .

قالت الشمس : عذرك هذا مقبولٌ ، وليس أمامي إلا أن أقوم ببناء بيتٍ كبيرٍ ضخمٍ ، يتسع للأصدقاء القادمين لزيارتي ، بأعدادٍ كبيرةٍ ؛ وبذلك لا يكون لك عذرٌ تبرر به عدم زيارتك لي .

قال البحر : شكراً على دعوتك الكريمة ، ولا بد أن نليها ، ونسعد بوجودنا في قصرِك الكبير .

بدأت الشمس تبنى البيت ، يعاونها في ذلك القمر ، زوجها المخلص ، وكانا يرغبان في أن يزورهما « البحر » وأعوانه وأصحابه ؛ لذلك قاما معاً يشيدان بيتاً كبيراً متسعاً ؛ كي يستقبلا فيه الضيف وأتباعه ، كالحوت والدرفيل ، ثم قدما له الدعوة ؛ ليتفضل عليهما بالزيارة ، فسأل :

- هل البيت آمنٌ ، وكيفينا ؟

- نعم .

- شكراً على ما تتمتعان به من نبلٍ وفضلٍ .

- المياه تستحق منا كل التقدير ؛ فهي أصل الحياة .

- ما من أحدٍ ينكر فضلِك يا شمس على الحياة .



- هَيَّا ، تَعَالِ يَا بَحْرُ ، إِنَّنَا فِي انْتِظَارِكَ .

وَتَبَدُّ الْمِيَاهُ فِي التَّدْفِقِ ؛ أَمْوَاجًا إِثْرَ أَمْوَاجٍ ، حَامِلَةً مَعَهَا كُلَّ الْأَحْيَاءِ وَالْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي تَعِيشُ فِي الْبَحْرِ ؛
لِتَدْخُلَ بَيْتَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَأَخَذَتْ تَعْلُو . . وَتَعْلُو . . وَتَعْلُو ، حَتَّى مَاعَادَ هُنَاكَ مَكَانٌ لِصَاحِبِي الْمَنْزِلِ ؛
لِذَلِكَ أَخَذَا يَصْعَدَانِ إِلَى سَطْحِ الْبَيْتِ ، وَهُمَا خَجُولَانِ ، فَمَا كَانَا يَتَصَوَّرَانِ أَنْ يَضِيقَ بِهِمَا الْبَيْتُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ .

وَبَدَّاتِ الْمِيَاهُ تَغْمُرُ كُلَّ أَرْجَاءِ الدَّارِ ، وَوَصَلَتْ سَقْفَهُ وَتَجَاوَزَتْهُ ارْتِفَاعًا إِلَى السَّطْحِ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَرْحَبَانِ
بِالْوَأْفِدِ الضَّيْفِ ، وَاضْطْرًّا إِلَى مُغَادَرَةِ الْمَكَانِ وَالصُّعُودِ إِلَى أَعْلَى . . إِلَى أَعْلَى .

لَمْ يَعدُ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مَكَانٌ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ ؛ لِأَنَّ الْبَحْرَ احْتَلَّ بَيْتَهُمَا ، رَغْمَ اتِّسَاعِهِ ، وَسَكَنَ الشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ فِي السَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ ، وَاسْتَقَرَّا فِيهَا ؛ لِيَتَطَّلَعَ إِلَيْهِمَا النَّاسُ ،
وَلِيَتَذَكَّرُوا مَدَى كَرَمِهِمَا وَجُودِهِمَا .

وَكَانَتِ الشَّمْسُ خِلَالَ النَّهَارِ تَفْرِشُ مِيَاهَ الْبَحْرِ
بُنُورَهَا ، وَتَمُدُّهُ بِالِدَّفَاءِ وَالْحَرَارَةِ ، وَكَانَتِ هَذِهِ
بِدْوَرَهَا تَقُومُ بِتَحْوِيلِ بَعْضِ الْمِيَاهِ إِلَى بَخَارٍ
يَصْعَدُ إِلَى أَعْلَى لِرَغْبَتِهِ فِي زِيَارَةِ الشَّمْسِ ،
حَيْثُ هِيَ فِي سَمَائِهَا .

وَكَانَ الْقَمَرُ لَيْلًا يُعْطِي سَطْحَ الْمِيَاهِ بَضْوَةً
فَضِيًّا جَمِيلًا ، يَلْمَعُ وَيَتَأَلَّقُ ، وَكَانَ الْبَحْرُ بِدَوْرِهِ
يَعْكِسُ هَذَا الضِّيَاءَ لِيَتَجَمَّلَ بِهِ كَوَكْبُ الْأَرْضِ كُلُّهُ .

إِنَّ الصَّلَةَ بَيْنَ الْبَحْرِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَمْ تَنْقَطِعْ قَطُّ
مُنْذُ صُعُودِهِمَا إِلَى السَّمَاءِ . لَقَدْ بَقِيَتْ
عِلَاقَةُ الصَّدَاقَةِ قَائِمَةً أَبَدَ الْأَبَادِ .
وَيَقُولُ الْأَفَارِقَةُ :

إِذَا كَانَ هَذَا يَحْدُثُ بَيْنَ هَذِهِ
الْجَمَادَاتِ ، فَيَجْدُرُ بِهِ أَنْ يَقَعَ بَيْنَ
الْبَشَرِ ، أَصْحَابِ الْعُقُولِ الذَّكِيَّةِ !



الكلُّ يتكلَّمُ

الوقتُ : صيفٌ .

الشمسُ ترسلُ أشعتها الناريةَ على الحقلِ الصغيرِ ،
وصاحبه ، وقد أخذَ يحفرُ الأرضَ بفأسه ؛ ليسرَّ لنفسه
اقتلاعَ البصلِ والجزرِ ، وكان قد نسيهما طويلا ، وكولا
عنايةَ السماءِ بهما وما بعثت به من عيث ، ما نبأ ،
وأطلت شواشيهما الخضراءَ من باطنِ التربةِ . لقد غفلَ
عنها ، ولم يُنقِ من حولها الحشائشَ العشوائيةَ البريةَ التي
قاسمتها طعامها وضوءَ الشمسِ ، وما إن فتحتِ الجزيرةُ
عينها على النورِ ، حتى قالت له مُعاتبَةً :

- أه .. ها قد تذكّرنا أخيراً . جئت للحصادِ !

تلقت الفلاحُ من حوله باحشاَ عمن يتكلَّمُ ، فلم يجدَ
أحدًا ؛ فازدادَ دهشةً على دهشه ، وتطلّعَ إلى البقرةِ التي كانت
تقفُ بجانبه وهي تجترُّ طعامها ، وسألها :

- هل أنتِ التي تكلمتِ ؟

لم تردّ البقرةُ ؛ فقد كان فمها مُمتلئًا بالطعامِ ، وقد
دربت نفسها على ألا تتكلَّمُ أثناءَ ذلك ؛ إذ يتطأيرُ منها
ردًاذ يُصيبُ من حولها ، لكن صوتًا ارتفعَ ؛
ليردَّ على الفلاحِ قائلاً :



لَمْ تَكُنِ الْبَقْرَةُ هِيَ الْمُتَحَدِّثَةُ إِلَيْكَ ، وَإِنَّمَا هِيَ الْجَزْرَةُ الَّتِي اقْتَلَعْتَهَا مِنَ الْأَرْضِ .
نَظَرَ الْفَلَّاحُ مَصْعُوقًا إِلَى عَنزَةٍ تَقِفُ بِجَانِبِ الْبَقْرَةِ ، وَسَأَلَهَا : هَلْ تَكَلَّمْتَ يَا عَنزَتِي الْعَزِيزَةَ ؟
- مَنْ تَظُنُّ تَكَلَّمَ غَيْرَهَا ؟

- الصَّوْتُ يَأْتِينِي الْآنَ مِنَ أَعْلَى .
- نَعَمْ ، إِنَّهُ صَوْتِي أَنَا .

- مَنْ ؟ النَّخْلَةُ ؟

- إِنَّهَا أَنَا ، وَلَا شَيْءَ غَيْرِي ، لَقَدْ اقْتَلَعْتَ جَرِيدِي أَمْسَ .
- كُنْتُ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ .

- وَلَكِنَّكَ وَضَعْتَهُ مِنْ أَعْلَى ، فَكِدْتَ تَكْتُمُ أَنْفَاسِي .
- مَنْ تَكُونُ يَا مَنْ تَتَحَدَّثُ إِلَيَّ مِنْ عَلَى الْأَرْضِ ؟
- أَنَا الْحَجَرُ .

- حَتَّى الْحَجَرُ يَتَكَلَّمُ ! وَالْجَمِيعُ يَلُومُونِي ؟ إِنَّنِي لَنْ أَبْقَى
دَقِيقَةً وَاحِدَةً فِي هَذَا الْحَقْلِ الْمَسْحُورِ .

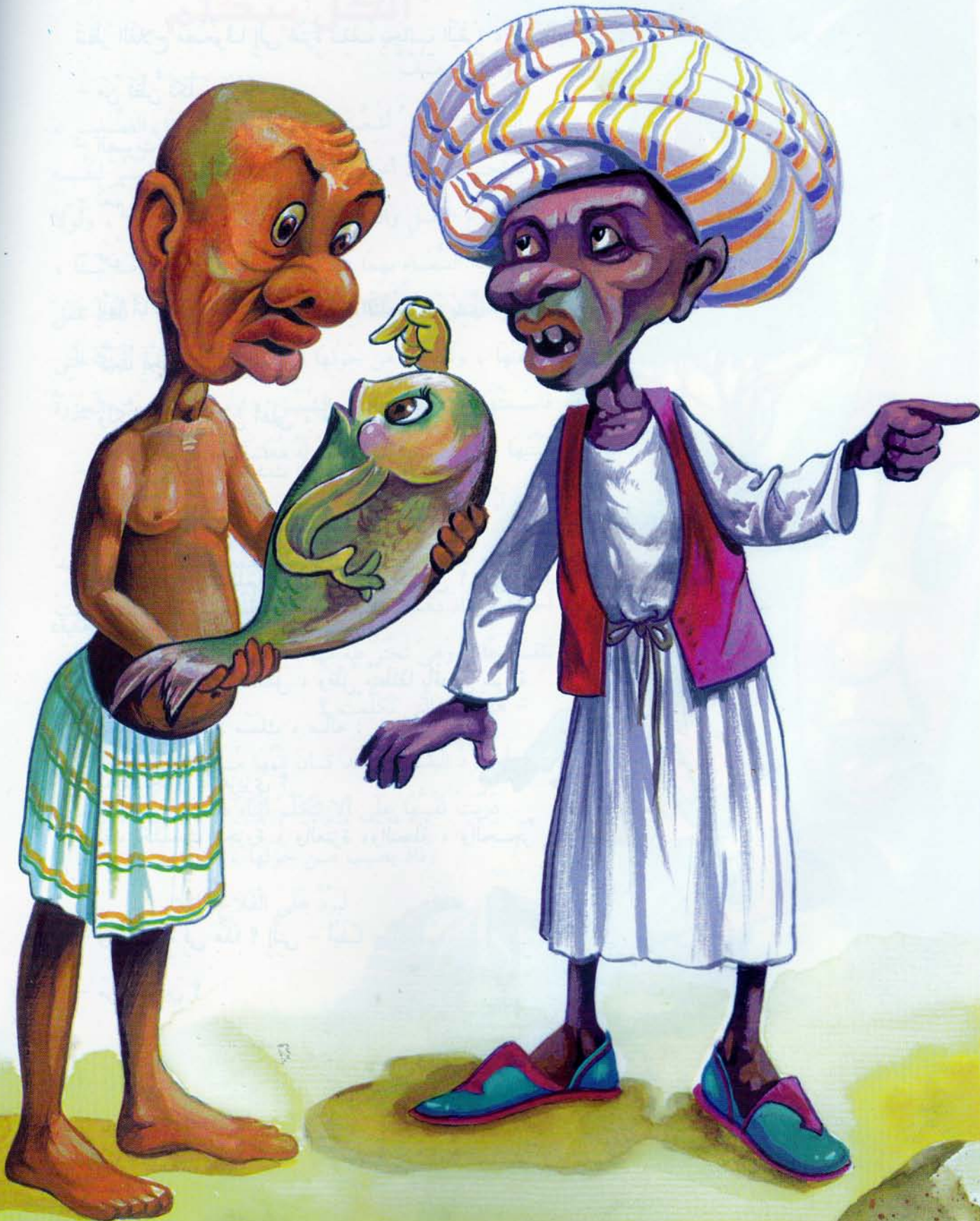
جَرَى الْفَلَّاحُ مُغَادِرًا الْحَقْلَ ، وَظَلَّ مُنْطَلِقًا بِأَقْصَى سُرْعَةٍ
إِلَى أَنْ التَّقَى مَعَ صَيَّادِ سَمَكٍ ، سَأَلَهُ :

- لِمَاذَا تَجْرِي يَا عَزِيزِي ؟

- لَقَدْ تَكَلَّمَتِ الْجَزْرَةُ ، وَالْعَنزَةُ ، وَالنَّخْلَةُ ، وَالْحَجَرُ
نَطَقَ !

- وَأَيُّ شَيْءٍ فِي هَذَا ؟ إِنَّنِي - أَيْضًا - أَتَكَلَّمُ .
- مَنْ تَكُونِينَ ؟







- أَنَا سَمَكَةٌ

قَالَ الصَّيَّادُ : يَا سَلَام ..

السَّمَكَةُ تَتَكَلَّمُ .

شَارَكَ الصَّيَّادُ زَمِيلَهُ الْفَلَّاحَ فِي الْجَرِيِّ بَعْدَ أَنْ أَلْقَى بِالشَّبَكَةِ وَمَا فِيهَا ، لَكِنَّ النَّسَاجَ قَابِلَهُمَا عَلَى الطَّرِيقِ ، يَحْمِلُ لُفَّةً مِنْ قُمَاشٍ نَسَجَهُ ، وَإِذَا بِهَا تَقُولُ :

- مَاذَا حَدَثَ لِيَجْرِي كُلُّ مَنْكُمَا بِهَذِهِ السَّرْعَةِ ؟

قَذَفَ النَّسَاجُ بِالْقُمَاشِ ، وَجَرَى مَعَهُمَا إِلَى أَنْ اعْتَرَضَهُمْ نَهْرٌ وَفَتَاةٌ وَاقِفَةٌ تَمَلَأُ مِنْهُ الْمَاءَ ، فَتَوَقَّفَتْ عَمَّا تَفْعَلُهُ ، وَارْتَفَعَ صَوْتُ يَسْأَلُ :

- هَلْ تُطَارِدُونَ غَزَالَةَ؟

- لا .. هَلْ أَنْتِ أَيْتَهَا الْفَتَاةُ مَنْ تَسْأَلِينَ ؟

- لا ، إِنَّهَا أَنَا .. أَنَا الْمِيَاهُ .

تَرَكْتُ الْفَتَاةُ الْجِرَّةَ الَّتِي كَانَتْ تَمَلُّوْهَا بِالْمَاءِ ،
وَجَرَتْ مَعَ الْفَلَّاحِ الَّذِي كَلَّمْتَهُ الْجَزْرَةَ ،
وَالصَّيَّادِ الَّذِي تَحَدَّثَتْ مَعَهُ السَّمَكَةَ ،
وَالنَّسَّاجِ الَّذِي نَطَقَ قُمَاشُهُ . وَكَانَ
الْجَمِيعُ يَرْتَعِدُ فَرَعًا وَرُعْبًا .

قَالَتْ لَهُمُ الْفَتَاةُ أَثْنَاءَ الْجَرِيِّ ،
وَهِيَ تَلْهَثُ :

- هَيَّا بِنَا إِلَى شَيْخِ
الْقَبِيلَةِ .

- وَمَا الَّذِي
يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَهُ ؟

- يُوجِدُ لَنَا
حَلًّا مَعَ هَذِهِ
الْأَشْيَاءِ الَّتِي
تَتَكَلَّمُ .

- فِكْرَةٌ لَا بَأْسَ بِهَا .

انْطَلَقَ الْجَمِيعُ تَجَاهَ مَكَانِ
شَيْخِ الْقَبِيلَةِ ، فَوَجَدُوهُ جَالِسًا إِلَى



مَقْعَدِ خَشَبِيٍّ ضَخْمٍ .

قَالَ لَهُ الْفَلَّاحُ : الْجَزْرَةُ تَكَلَّمَتْ وَ ...

وَقَالَ الصَّيَّادُ : وَالسَّمَكَةُ .

وَقَالَ النَّسَّاجُ : وَقِطْعَةُ الْقُمَاشِ .

وَقَالَتِ الْفَتَاةُ : وَالْمِيَاهُ فِي النَّهْرِ تَكَلَّمَتْ أَيْضًا .

قَالَ شَيْخُ الْقَبِيلَةِ : هَذَا كَلَامٌ خُرَافِيٌّ ، أَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقْلِقُوا النَّاسَ بِحِكَايَاتِكُمُ الْكَاذِبَةَ ، وَتَرْغَبُونَ فِي
إِزْعَاجِ السُّلْطَةِ .

- بَلْ لَقَدْ حَدَّثَ هَذَا فِعْلًا .

- وَنُوَكِّدُ لَكَ ذَلِكَ .

سَمِعُوا صَوْتًا يَسْأَلُهُمْ : هَلْ سَمِعْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ هَذِهِ الْأَصْوَاتَ ؟

قَالُوا فِي نَفْسٍ وَاحِدٍ : نَعَمْ .

- كُلُّ هَذَا لَا يَسْتَدْعِي الْخَوْفَ .

- مَاذَا ؟!

- أَهْوَى شَيْءٌ غَرِيبٌ أَنْ يَتَحَدَّثَ الْمَقْعَدُ الَّذِي يَجْلِسُ عَلَيْهِ

شَيْخُ الْقَبِيلَةِ ؟

صَرَخَ شَيْخُ الْقَبِيلَةِ : خُذُونِي مَعَكُمْ ؛

لِنَجْرِي كُلَّنَا .. نَحْنُ مَسَاكِينُ .. كُلُّ شَيْءٍ

فِي هَذَا الْعَصْرِ الْعَجِيبِ وَالزَّمَنِ الْغَرِيبِ يَتَكَلَّمُ،

وَلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ أَحَدٍ يَسْمَعُ .



الفراشة الصفراء



عِنْدَمَا يَهْبِطُ اللَّيْلُ وَيَحُلُّ الظَّلَامُ ، تَقْعُدُ « أوسَا » الصَّغِيرَةُ وَهِيَ تَعْقِدُ يَدَيْهَا حَوْلَ رُكْبَتَيْهَا ، وَتَرْتَعِدُ مِنَ الخَوْفِ وَالرُّعْبِ ؛ إِذْ تَتَخَيَّلُ الأشْجَارَ شَيَاطِينٍ ، وَتَتَصَوَّرُ الغَابَةَ مَلِيئَةً بِالْعَفَارِيتِ ، وَهِيَ تَظَلُّ فِي مَكَانِهَا هَذَا دُونَ حَرَكَةٍ ، وَلَا تُغَادِرُهُ إِلَى أَنْ تَنَامَ ، وَتَأْتِي أُمُّهَا ؛ لَكِي تَحْمِلَهَا إِلَى فِرَاشِهَا .

أَمَّا بِاللَّهَارِ فَهِيَ « عَفْرِيَّتُهُ » صَغِيرَةٌ ، وَشَيْطَانَةُ شُجَاعَةٍ ، تَجْرِي هُنَا وَهُنَا ، تَتَسَلَّقُ الْأَشْجَارَ ، وَتُمْسِكُ بِالْحَشْرَاتِ ، وَتَصْطَادُ الطُّيُورَ ، وَتُطَارِدُ الْحَيَوَانَاتِ .

وَدَاتَ يَوْمٍ ، ضَلَّتْ « أُوسَا » طَرِيقَهَا أَثْنَاءَ عَوْدَتِهَا مِنَ الْعَابَةِ إِلَى الْبَيْتِ ، وَلَمْ يَفْلِحِ الْعِقْدُ الْأَحْمَرُ الَّذِي أَهْدَتْهُ لَهَا أُمُّهَا فِي أَنْ يَبِثَّ فِي نَفْسِهَا شَيْئًا مِنَ الشُّجَاعَةِ ، أَوْ يُزِيلَ مِنْهَا الْجُبْنَ وَالْخَوْفَ ، وَظَلَّتْ تَسِيرُ بَاحْتَهُ عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي يَقُودُهَا إِلَى مَنْزِلِهَا ، غَيْرَ أَنَّهَا لَمْ تَعَثُرْ عَلَيْهِ ، وَلَمَحَتْ عَلَى الْبُعْدِ أَضْوَاءً تَنبَعثُ مِنْ فَوْقِ شَجَرَةٍ ، وَعِنْدَمَا مَضَتْ نَحْوَهَا ، اِكْتَشَفَتْ أَنَّهَا زُجَاجَاتٌ تَنْعَكِسُ عَلَيْهَا أَشِعَّةُ الشَّمْسِ . قَالَتْ مُتَسَائِلَةً :

- أَتَكُونُ هَذِهِ « شَجَرَةَ الزُّجَاجَاتِ » الَّتِي سَمِعْتُ عَنْهَا ؟

إِنَّهُمْ كَثِيرًا مَا يَتَحَدَّثُونَ عَنْهَا وَعَنْ صَاحِبِهَا الْعَجُوزِ . هَلْ تَجِدُهُ هُنَاكَ وَيَدُلُّهَا عَلَى الطَّرِيقِ ؟

مَضَتْ نَحْوَ الشَّجَرَةِ ، وَإِذَا بِهَا تَلْقَاهُ ، وَيَسْتَقْبِلُهَا قَائِلًا :

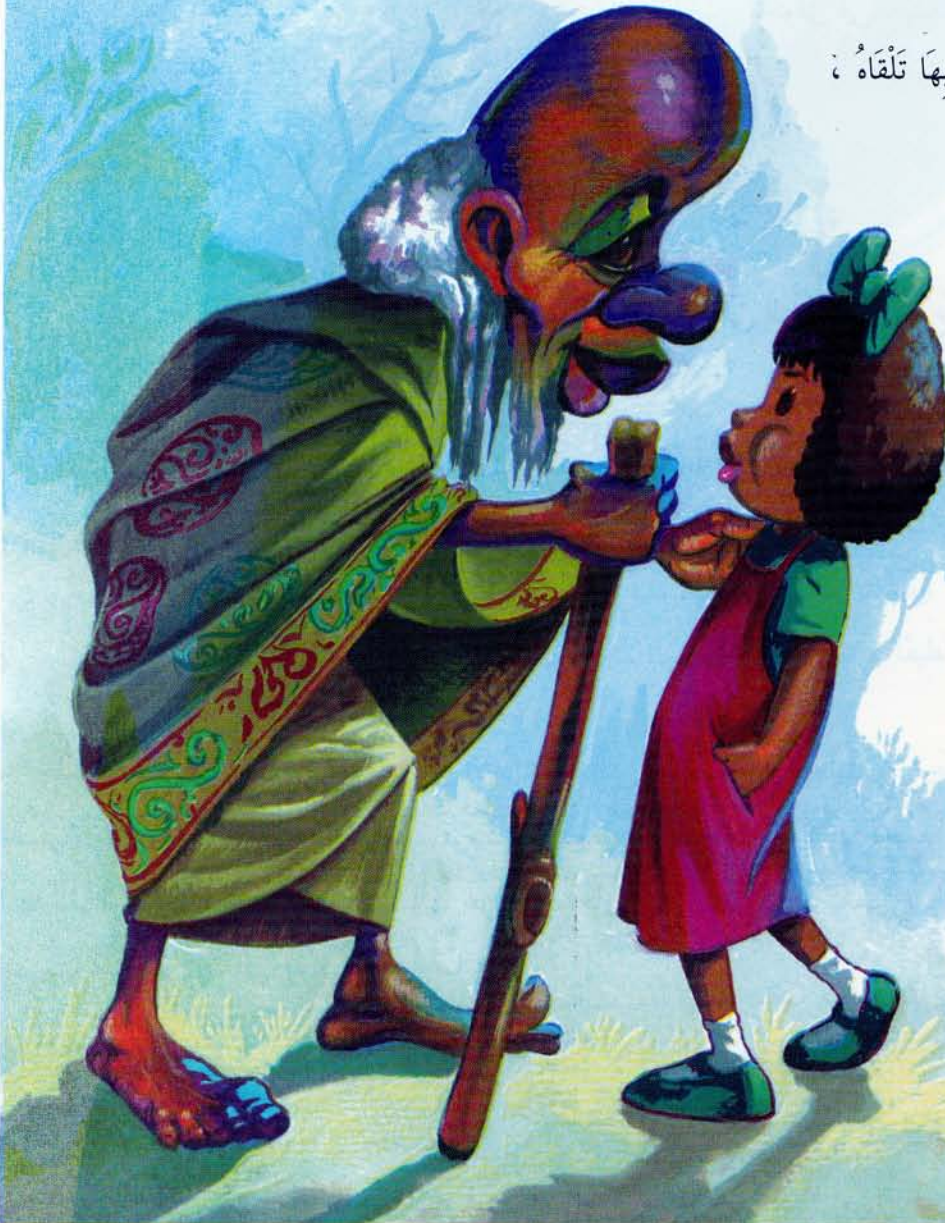
- أَهْلًا يَا « أُوسَا » هَلْ اجْتَذَبَتْكَ الْأَضْوَاءُ كَالْفَرَاشَاتِ ؟

سَأَلَتْهُ « أُوسَا » : كَيْفَ عَرَفْتَ اسْمِي ؟

- إِنَّنِي أَعْرِفُ الْكَثِيرَ عَنْكَ .

-وَأَنَا أَيْضًا سَمِعْتُ أَنَّ لَدَيْكَ أَعْشَابًا تَشْفِي مِنَ الْأَمْرَاضِ ، كَمَا أَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى تَفْسِيرِ الْأَحْلَامِ .

- هَذَا مَا يَقُولُهُ النَّاسُ ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تُسَاعِدِنِي فِي فَرَشِ هَذِهِ الْأَعْشَابِ ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَجِفَّ ؟



- يَسْرُنِي ذَلِكَ كَثِيرًا .

أَخَذَتْ « أَوْسَا » تَعَاوَنَ الرَّجُلَ الْعَجُوزَ ، وَظَلَّتْ تَعْمَلُ طَوِيلًا دُونَ أَنْ تَتَنَبَّهُ إِلَى أَنَّ الشَّمْسَ تَقْطَعُ رِحْلَتَهَا مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ بِسُرْعَةٍ ، وَقَدْ نَسِيَتْ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهَا أَخَذَتْ تَبَادُلَ الْحَدِيثِ مَعَ الرَّجُلِ الْعَجُوزِ ، وَقَدَّمَ لَهَا بَعْضَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَشَعَرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِالتَّعَبِ ؛ فَجَلَسَتْ لِتَسْتَرِيحَ ، وَإِذَا بِهَا تَعْفُو وَتَنَعَسُ ، فَحَمَلَهَا الْعَجُوزُ إِلَى الْفِرَاشِ . وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظَتْ قُرْبَ الظُّهْرِ قَالَ لَهَا :

- لَقَدْ أَدَيْتِ عَمَلِكَ فِي بَرَاعَةٍ ، وَكُنْتِ شُجَاعَةً وَأَنْتِ تَسْلَقِينَ السَّلْمَ ، وَتُسْنِدِينَهُ إِلَى الْأَشْجَارِ ؛ لِقَطْفِ أَوْرَاقِهَا!

- إِنَّنِي شُجَاعَةٌ بِالنَّهَارِ ، رَعْدِيدَةٌ بِاللَّيْلِ .

- أَنَا - أَيْضًا - أَخَافُ الْغَابَةَ لَيْلًا .

- هِيَ تَخْفَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مُزْعِجَةً ؛ إِذْ تَتَجَوَّلُ فِيهَا الْحَيَوَانَاتُ وَتُحْمَلِقُ فِي بَعِينِهَا ، وَالشَّرْرُ يَنْبَعثُ مِنْهُمَا .

- ابْتَسَمَ الْعَجُوزُ وَهُوَ يَقُولُ لَهَا :

- هَلْ تَرَيْنَ هَذِهِ الْفِرَاشَةَ الصَّفْرَاءَ ؟

- نَعَمْ ، إِنَّهَا جَمِيلَةٌ جِدًا !

- وَصَغِيرَةٌ جِدًا ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهِيَ تُحَلِّقُ ، وَتَطِيرُ ، وَلَا تَخْشَى السَّقُوطَ وَالْوُقُوعَ عَلَى الْأَرْضِ .

- تَطَلَّعَتْ إِلَيْهَا « أَوْسَا » وَهِيَ تَقُولُ :

- لَا بُدَّ أَنْ فِيهَا «سِرًا» مَا . أَنَا شَخْصِيَا لَيْسَ عِنْدِي جَنَاحَانِ أَطِيرُ بِهِمَا ، وَأَهْرُبُ مِنَ الْخَوْفِ .

- يَجْدُرُ بِكَ أَنْ تَجِدِي سَبِيلًا لِلتَّغَلُّبِ عَلَيْهِ وَمُوجَهَتِهِ .

- إِنَّنِي أَتَمَنَّى ذَلِكَ . لَيْتَكَ تُسَاعِدُنِي !

- رَاقِبِيهَا .. تَابِعِيهَا .

جَلَسَتْ « أَوْسَا » تَنْفُضُ التُّرَابَ عَنِ الْأَعْشَابِ الَّتِي جَفَّتْ ، وَغَفَلَتْ مِنْ جَدِيدٍ ، وَإِذَا بِهَا تَحَلُّمٌ بِالْفِرَاشَةِ الصَّفْرَاءِ وَهِيَ تَطِيرُ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ ، وَكَأَنَّمَا يَنْبَعثُ مِنْ دَاخِلِهَا ، وَكَأَنَّهَا تَحْمَلُهُ مَعَهَا أَيْنَمَا تُوَجَّهَتْ ، وَأَقْتَرَبَتْ مِنْهَا الْفِرَاشَةُ الصَّفْرَاءُ ؛ تُرِيدُ أَنْ تَسْأَلَهَا عَنْ شَيْءٍ ، أَوْ تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ لَهَا بَعْضَ كَلِمَاتٍ . وَفِي صَوْتِ رَقِيقٍ نَاعِمٍ ، هَمَسَتْ الْفِرَاشَةُ : تَعَالَى وَرَائِي يَا « أَوْسَا » .

- إِلَى أَيْنَ ؟

- سَتَعْرِفِينَ .

مَضَتْ الْفِرَاشَةُ الصَّفْرَاءُ ، وَ « أَوْسَا » مِنْ وَرَائِهَا ، تَتَعَبَّهَا . طَارَتْ فِي طُرُقٍ ضَيِّقَةٍ مُظْلِمَةٍ ، وَهِيَ مِنْ خَلْفِهَا



كَأَنَّهَا تُطَارِدُهَا . وَفَجَاءَ أَحَسْتُ « أَوْسَا » بِشَيْءٍ يَجْذِبُهَا مِنْ كَتْفَيْهَا ، وَانْتَابَهَا فَنَزَعَ شَدِيدًا ، فَتَلَقَّتْ إِلَى الْوَرَاءِ وَإِذَا بَعْضُنْ شَجَرَةٍ أَمَامَهَا ، وَفَجَاءَ وَجَدْتُ أَنَّهَا قَدْ فَقَدَتْ الْفَرَّاشَةَ الصَّفْرَاءَ ؛ إِذْ اخْتَفَتْ ، وَلَمْ تَعْرِفِ الطَّرِيقَ الَّذِي سَلَكَتُهُ ، وَضَاعَ مِنْهَا الضَّوُّ الَّذِي كَانَتْ تَسْتَدِلُّ بِهِ ، وَتَجْرِي عَلَى هُدَاهُ ، فَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَّا أَنْ قَعَدَتْ عَلَى الْأَرْضِ وَعَقَدَتْ يَدَيْهَا حَوْلَ رُكْبَتَيْهَا ، وَبَدَأَتْ تَبْكِي . وَبَعْدَ قَلِيلٍ رَأَتْ نَفْسَهَا تَرْقُدُ حَيْثُ هِيَ ، عَلَى التُّرَابِ وَأُورَاقِ الشَّجَرِ ، وَأَحَسَّتْ بِهِ دَافِنًا مَرِيحًا لَطِيفًا ، ثُمَّ شَعَرَتْ أَنَّ شَيْئًا مَا فِي دَاخِلِهَا يَتَغَيَّرُ ، وَتَسَاءَلَتْ :

- مَاذَا يَحْدُثُ لِي ؟

وَجَدْتُ أَنَّ نَقْطَةً مُضِيئَةً قَدْ بَدَأَتْ تَظْهَرُ فِي دَاخِلِهَا ، وَأَنَّ هَذِهِ النُّقْطَةَ تَكْبُرُ وَتَكْبُرُ ، كَأَنَّهَا شَمْسٌ صَغِيرَةٌ ، مِثْلُ تِلْكَ الَّتِي كَانَتْ فِي قَلْبِ الْفَرَّاشَةِ الصَّفْرَاءِ ، وَأَحَسَّتْ بِنَفْسِهَا خَفِيفَةً لَطِيفَةً قَادِرَةً عَلَى أَنْ تَطِيرَ فِي الْهَوَاءِ ، وَهِيَ تُحَرِّكُ ذِرَاعَيْهَا ، كَأَنَّهَا هُمَا جَنَاحَانِ رَفِيقَانِ ، وَارْتَفَعَتْ إِلَى أَعْلَى . . . إِلَى مَا فَوْقَ الْأَشْجَارِ الْبَاسِقَةِ الْعَالِيَةِ ، وَلَا حِظَّ أَنْتَاءَ طَيْرَانِهَا أَنَّ اللَّيْلَ قَدْ حَلَّ ، لَكِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ مُظْلَمَةً جِدًا ، حَيْثُ كَانَتْ « أَوْسَا » تَتَّصَرُّ أَوْ تَتَّخِيلُ . رَأَتْ نُورًا مُتَنَائِرًا هُنَا وَهُنَا ، وَتَسَلَّلَ بَعْضُ الْأَمَانِ وَالْإِطْمِئْنَانِ إِلَى نَفْسِهَا ، وَاسْتَمَرَّتْ تَطِيرُ ، مُحَلِّقَةً .

وَعِنْدَمَا فَتَحَتْ عَيْنَيْهَا ، وَجَدَتْ نَفْسَهَا فِي فِرَاشِ الْعَجُوزِ .

هَلْ نَقَلْنَا إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى أَمْ تَرَاهَا لَمْ تُغَادِرْهُ ؟

أَيْنَ الْحُلْمِ؟ وَأَيْنَ الْحَقِيقَةُ فِي كُلِّ مَا رَأَتْهُ؟ هَلْ هُنَاكَ - حَقًّا - فَرَّاشَةٌ صَفْرَاءُ أَمْ أَنَّ الْأَمْرَ مُجْرَدُ خَيَالٍ؟ وَهَلْ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ قَدْ طَارَتْ فِعْلًا أَمْ أَنَّ الْحِكَايَةَ حُلْمٌ طَافَ بِرَأْسِهَا؟
تَطَلَّعَتْ هُنَا وَهُنَاكَ بَاحِثَةً عَنِ الْعَجُوزِ .

مَا أَكْثَرَ مَا تَنَامُ خِلَالَ أَيَّامِ الصَّيْفِ الْحَارِّ نَهَارًا ، لِمَاذَا لَا تَدَخِرُ النَّوْمَ إِلَى اللَّيْلِ ؛ لِتَهْرُبَ مِنْ ظِلَامِهِ وَمِنْ الْخَوْفِ خِلَالَهُ؟

لَمَحَتْ « أَوْسَا » الْعَجُوزَ نَشِيطًا ، مَازَالَ يُوَاصِلُ عَمَلَهُ فِي جِدِّ وَاجْتِهَادٍ ، وَاحْسَتَ أَنَّهُ إِنْسَانٌ عَظِيمٌ وَطِيبٌ ، بَلْ رَائِعٌ ؛ فَغَادَرَتْ مَكَانَهَا إِلَيْهِ .

سَأَلَهَا : هَلْ رَأَيْتِ أَحْلَمًا جَمِيلَةً خِلَالَ نَوْمِكَ؟

- نَعَمْ

وَحَكَتْ لَهُ كُلَّ مَا حَلَمَتْ بِهِ ، وَحَدَّثَتْهُ عَنِ الْفَرَّاشَةِ الصَّفْرَاءِ ، وَكَيْفَ تَبِعَتْهَا ، ثُمَّ فَقَدَتْ أَثَرَهَا ، وَرَوَتْ لَهُ كَيْفَ أَنَّ دَاخِلَهَا قَدْ أَصْبَحَ مُضِيئًا ، وَأَنَّهَا تَمَكَّنَتْ مِنْ أَنْ تَطِيرَ ، وَأَضَافَتْ :

- قُلْتُ لِي : إِنِّي سَأَكُونُ ذَاتَ يَوْمٍ - أَقْصِدُ ذَاتَ لَيْلَةٍ - شُجَاعَةً .

- نَعَمْ .

- لَقَدْ حَدَّثَ .

كَانَ الْعَجُوزُ يَنْظُرُ إِلَى « أَوْسَا » وَهِيَ تَسْتَعِدُّ لِتَغَادِرِ الْمَكَانِ إِلَى بَيْتِهَا ، فَقَالَ لَهَا

- سَوْفَ يَأْتِي اللَّيْلُ وَأَنْتِ عَلَى الطَّرِيقِ .

- فَلَیَاتِ . . لَسْتُ أَخْشَاهُ .

- وَالظَّلَامُ وَالْأَشْبَاحُ؟

- إِنِّي كُنْتُ أَخَافُ حِينَ لَا يَكُونُ هُنَاكَ نُورٌ مِنْ حَوْلِي ، وَلَكِنِّي أَشْعُرُ الْآنَ أَنَّ هُنَاكَ نُورًا بَدَاخِلِي .

هَتَفَ : مَاذَا؟

- قُلْتُ لَكَ : إِنَّ شَمْسًا نَبَتَتْ بِقَلْبِي ، وَإِنَّ نُورًا يَشِعُّ مِنْهَا ، لَا يُضِيءُ مَا بَدَاخِلِي فَحَسَبُ ، بَلْ وَالطَّرِيقَ أَمَامِي ،

وَيَبْدُدُ الظَّلَامَ فِيمَا حَوْلِي .

- هَذَا شَيْءٌ رَائِعٌ يَا « أَوْسَا » ، أَنْتِ هِيَ الْأَمْرُ أَحَبُّ أَصْدِقَاءِ ، وَأَنْتِ قَادِرَةٌ عَلَيَّ أَنْ تَزُورِيَنِي حَتَّى فِي مُتَّصِفِ

اللَّيْلِ .

- لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ ، وَسَوْفَ أُسْتَدِلُّ عَلَيْكَ مِنْ ضَوْءِ النُّجُومِ وَهِيَ تَتَعَكَّسُ عَلَيَّ زُجَاجَاتِ الشَّجَرَةِ

وَتَمَلُّوْهَا بِالنُّورِ .

- سَأَنْتَظِرُكَ يَا « أُوسَا » .

لَوَحَتْ « أُوسَا » بِيَدِهَا مُودَعَةَ الرَّجْلِ الْعَجُوزَ ، وَمَضَتْ عَلَى الطَّرِيقِ شُجَاعَةً ثَابِتَةً الْخُطَا ، لَا تَخَافُ أَحَدًا ، وَلَا تَخْشَى شَيْئًا . وَكَانَتْ عَيْنَاهَا تَخْتَرِقَانِ الظَّلَامَ ، وَالنُّورُ يَطُلُّ مِنْهُمَا ، فَتَخْشَاهَا الْحَيَوَانَاتُ ، وَتَتَفَادَاهَا ، وَتُخْلِى لَهَا الطَّرِيقَ . وَكَانَ صَوْتُهَا يَرْتَفِعُ - أحيانًا - بِالغِنَاءِ ، فَيُؤْنِسُهَا ، وَيُفْرِحُهَا وَيُبْهِجُهَا ، وَيَزِيدُهَا شُجَاعَةً عَلَى شُجَاعَتِهَا . وَكَانَتْ أَغْصَانُ الشَّجَرِ تَنْحِنِي لَهَا أَثْنَاءَ سَيْرِهَا ، بَلْ إِنَّ بَعْضَهَا كَانَ يَنْحِنِي ؛ تَحِيَّةً وَتَقْدِيرًا .

وَعِنْدَمَا وَصَلَتْ إِلَى الْبَيْتِ وَجَدَتْ أُمَّهَا فِي انْتِظَارِهَا وَهِيَ قَلِقَةٌ ، وَمَا إِنَّ رَأَتْهَا حَتَّى صَاحَتْ فِيهَا :

- أَيْنَ كُنْتَ كُلَّ هَذَا الْوَقْتِ إِلَى أَنْ حَلَّ الظَّلَامُ ؟

- كُنْتُ أُبَدِّدُهُ وَأَهْزِمُهُ ، وَأُسَاعِدُ الرَّجْلَ الْعَجُوزَ عَلَى تَجْفِيفِ

أُورَاقِ الشَّجَرِ ، وَأَطَارِدُ الْفَرَاشَةَ الصَّفْرَاءَ ؛ بَحْثًا عَنِ الطَّرِيقِ .

- وَمَاذَا عَنِ خَوْفِكَ مِنَ الظَّلَامِ ؟

- الظَّلَامُ ؟ أَيُّ شَيْءٍ هُوَ ؟ وَمَا الَّذِي يُخِيفُ فِيهِ ؟

- كُنْتُ تَرْتَعِدِينَ مِنْهُ ؟

- كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُوجَدَ الشَّمْسُ بِدَاخِلِي

وَقَبْلَ أَنْ يُشْرِقَ النُّورُ فِي صَدْرِي . لَقَدْ تَعَبْتُ ،

وَأُرِيدُ أَنْ أَرْقُدَ فِي فِرَاشِي .

- أَلَنْ تَقْعُدِي وَتَعْقِدِي ذِرَاعِيكَ حَوْلَ

رُكْبَتَيْكَ ، وَتَنَامِي حَيْثُ أَنْتِ ، وَأَحْمِلُكَ إِلَى

سَرِيرِكَ ؟

- لا . لا . لا ، سَوْفَ أَمْضِي

إِلَيْهِ هَادِئَةً وَفِي عُمُقٍ

وَأَنَا مُلْتَحِفَةٌ

بِالظَّلَامِ !



فهرس



الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

٢



الْكُلُّ يَتَكَلَّمُ

٤



الْفَرَّاشَةُ الصَّفْرَاءُ

١٠

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لشركة سفين

رقم الإيداع ٣٠٠٥٩ / ٩٨ الترخيم الدولي : 5 - 602 - 261 - 977 ISBN

حكايات الشعوب

تؤلف الشعوب حكايتها الجميلة، تنبت لها
أجنحةً، ترفرف بها وتطير مهاجرة حرة لا تعرف
الحدود أو القيود، تهبط في هذه السلسلة فوق شجرتنا،
تغرد، تغنى، تمتعنا، وتحلق عاليًا، تزيد من معرفتنا للإنسان
في كل زمان ومكان، تخاطب فينا وجداننا وعقولنا، وتشير فينا
جُباً للشعوب والناس والحياة على كوكبنا، هي حكايات ملونة،
عذبة، جذابة، شيقة، رشيقة.

عناوين السلسلة

- * توكيتارو. وحكايات أخرى من اليابان.
- * هونشي. وحكايات أخرى من اليابان.
- * بيت العنكبوت. وحكايات أخرى من إفريقيا.
- * الفراشة الصفراء. وحكايات أخرى من إفريقيا.
- * دون دمينينو. وحكايات أخرى من إسبانيا.
- * الطاووس الأبيض. وحكايات أخرى من إسبانيا.
- * حضرة العمدة. وحكايات أخرى من السلاف.
- * من يفوز. وحكايات أخرى من السلاف.
- * إن شاء الله. وحكايات أخرى من إندونيسيا.
- * تل النمل. وحكايات أخرى من إندونيسيا.
- * قوس قزح. وحكايات أخرى عن الهنود الحمر.
- * أكل السحب. وحكايات أخرى عن الهنود الحمر.

